

الحكومات العربية في الهند و السند

(٤)

تأليف : القاضي أظهر مباركپوری

ترجمه : الأستاذ عبد العزيز عزت عبد الجليل

العلويون في المنصورة و حاله الأمن

كان المهباريون حجازيين ، و جدهم و عميدهم عمر بن عبد العزيز الذي انجاز للحجازيين في مقابله اليميين بالسند أيام الفتن ، و قد طاب للحجازيين الاقامه في السند فاستوطن كثير منهم هناك ، كما وجد العلويون من بلاد السند ملجأ طيبا لهم ، لأنهم كانوا يحسون الخطر من الخلافة العباسية ، و كان المهباريون يحبون العلويين ، فأفسحوا لهم صدورهم و وسعوا أسامهم المجال ، فكثروا في المنصورة ، و كان أغلبهم ممن ينتمي لعلی بن أبی طالب . و قد كتب المسعودی : ” وبها خلق من ولد علی بن أبی طالب رضی الله عنه ثم من ولد عمر بن علی و ولد محمد بن علی (١) ، ، .

النظام والأمن الداخلي والخارجي

من استعراضنا السابق ، يتضح أماننا أن منطقتنا السند قبل عهد المهباريين كانت سيدانا للثورات ، ومرتعا خصبا للانقلابات ، و أن الخلافات القبليه بين العرب قد أخذت صورة الحرب الأهليه ، التي أريقت فيها الدماء ، و كان

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ .

الشيعة" العلويون يقضون حياتهم في قلق و لكن الحال تغير بقيام الدولة المهارية" فعاد إلى البلاد كل من كان قد تركها ، أو نزح عن داره ، و ترك مركزه ، و نعمت كذلك الولايات الهندوسية" المجاورة للمنصورة بالأمن والطمانينه" ، خاصة" حكومه" " ألور" ، .

و قد كان تدين المهاريين ، وورعهم ، و سيرهم ، في إدارة البلاد على هدى من الدين و عمل بالاسلام ، مما له أكبر الاثر ، فعم الأمن والامان ، و فشا العدل والانصاف ، والرشاء و شعر أهل السند لأول مرة بذلك فتعلقت نفوسهم و قلوبهم بالحكم الجديد ، و قد لخص لنا ابن حوقل تلك الصورة في عبارته الاتيه" : " و ساسوهم سياسة" أوجبت رغبه" الرعيه" فيهم و ايثارهم على "ن سواهم غير أن الخطبه" لبني العباس(١) ، .

و لهذا لانجد أى دليل على قيام ثورة صغيرة ، أو كبيرة ، طوال مدة الـ ١٧٠ (مائة و سبعين سنه") ، من سنه" ٢٤٧ إلى سنه" ٤١٧ هـ ، هي مدة حكم المهاريين .

ثورة والقضاء عليها

غير أنه في بدايه" الدولة" قامت ثورة صغيرة ، استطاع الحاكم الموجود في هذا الوقت اخمادها ، و من المناسب أن نذكر شيئاً من التفصيل عن تلك المحاولة" ، فنقول : إنه في أول حكم آل هبار وصل إلى السند غلام من بني كندهة ، يدعى أبو صمه" من العراق مرافقا للحاكم العباسي داؤد بن يزيد بن حاتم ، و عمل على الاستيلاء على السلطه" ، و في ذلك كتب البلاذري :

(١) كتاب صور الارض بحواله" رجال السند والهند ص ١٨٠ .

” و كان معه أبوصمه المتغلب اليوم و هو سولى لكندة (١) ،،“ .

و من تلك العبارة يتضح أن ذلك كان بعد منتصف القرن الثالث ، لأن عام تصنيف كتاب فتوح البلدان هو ٥٢٥٥ هـ و أن أباصمه كان قد استولى على منطقتة ما فى بلاد السند ، ثم حاول فى سنة ٥٢٧٩ هـ الاستيلاء على المنصورة أثناء حكمه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهبارى الذى استطاع أن يخرجها و بعد تلك الواقعة قرر الانتقال من ” بانيه ،، مقر سكن آباءه وأجداده واستقل بالمقام فى المنصورة ، التى تبعد عن بانيه بفرسخ واحد ، و بعد تلك الحادثة لم نسمع عن وقوع أى ظاهرة أخرى من هذا القبيل ، أو أية اضطرابات تخل بالأسن ، أو تدعو لعدم الاطمئنان .

و عند ما توجه السلطان محمود الغزنوى نحو المنصورة تأهبت الحكومة هناك ووقفت فى الميدان ، و كانت الفتن آنذاك قد نخرت فى مكران و كرمان ، و تعدت إلى الملتان ، و عمت ثورات العلويين كل طرف وناحية ، و صار لدعاتهم و مبلغهم مراكز كثيرة فى تلك الجهات ، و لما استولى الاسماعيليون على زمام الحكم فى الملتان ، انبثقت من هناك الدعوة الباطنية الاسماعيلية ، و دعى فى الخطبة باسم الحكام الفاطميين فى افريقيا ، و كان للخوارج مجهودات لا تقبل أثرا أو خطرا و قد تمركزوا فى طوران ، و قزدار ، و مكران ، و قندايبيل ، و استطاع الخوارج اقامه حكومه لهم فى قزدار ، و اريققت هناك دماء القرامطة ، و زاد من سوء الحالة النزاع القبلى بين العناصر العربية ، و لكن يقظة الحكام الهباريين قضت على كل تلك الثورات ، و هذا عمل خالد يحفظه لهم التاريخ

(١) فتوح البلدان ص ٤٣٢ ،

لقد كان الهباريون يقلدون مذهب أهل الظاهر ، و يتبعون داؤد الظاهري و تشددوا في ذلك كالحنابلة ، و كان بجوارهم في طوران و قزدار الخوارج المتشددون و في جانب آخر الشيعة الباطنية الذين كانوا قد خلفوا بنى ساسه في الملتان ، و في المنصورة عدد وافر من العلويين ، و وسط كل هذه التيارات لم تحدث أى مشاغبات من ناحيه أى جماعه من أولئك ، هذه سببه للحكومة الهباريه و لا يمكن لأى حكومة أخرى أن تنافسها فيها من الحكومات المعاصرة لها كما لا يتأتى لاي مؤرخ انكار حسن سياستهم ، وجوده تدبير أمور حكومتهم .

خطر عارض و قتل الأتراك

و كان بينهم و بين آل بويه علاقات أخويه ، و صداقه و مودة ، و لهذا لم يسمحو المتمردين و الثوار ضدهم باللجوء إلى بلادهم ، أو أن يتخذوا منها كهفا يأوون اليه ، و كانوا يعتقدون أن الثوار على حكومة الديلميين يشكلون خطرا عليهم . و قد كتب الوزير أبو شجاع محمد بن حسن ظهير الدين روزراورى المتوفى سنة ٤٨٨ في حاشيه تجارب الأئم: أن صمصام الدولة الديلمى قد أمر في سنة ٣٨٥ بقتل الأتراك الذين لجأوا إلى بلاد فارس فصارت لهم هناك مذبحه عامه في شيراز ، و لذلك قامت ثورة كبيرة في هذه المنطقه من بلاد فارس ، فأدبهم صمصام الدولة و تعقبهم حتى أجلاهم الى كرمان ، ولما لم ينعموا هناك بالأمن ، استأذنوا حاكم السند فوفدوا عليهم فقتلهم و في هذا الشأن كتب صاحب ذيل تجارب الأئم ما يأتى : ” فدفعتهم الضرورة إلى قصد بلاد السند و استأذنوا ملكها في دخول بلده و أظهر لهم القبول و خرج لاستقبالهم و رتب أصحابه صفين و رجاله و دافعهم على الايقاع بهم اذا دخلوا

بينهم ففعلوا ذلك و لم يفلت منهم الا نفر قليل حصلوا بين القتلى و هربوا تحت الليل (١) ،، .

و لعل هؤلاء كانوا قد أرادوا المجيء إلى السند لاحداث فتن و قلاقل بها كما فعلوا مع حكومه آل بويه من اضطراب فيها و تخريب في أرضها ، ولذلك قضى عليهم بذلك .

القوة الحربية و الأفيال

و في سبيل القضاء على الفساد و المفسدين من أرباب الفتن ، اهتم آل هبار بالجيش ، فأحكموا نظامه ، ودعموا قوته ، و يمكن تقدير تلك القوة من بيان المسعودى الاتى : ” ولملك المنصورة فيله حربية“ هي ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائه راجل وأنه يحارب ألوفاً من الخيل على ما ذكرنا (٢) ،، .

و كان من بين تلك الفيله الحربية الفيلان اللذان ذكرنا هما و هما منفركليس و حيدرة و كان اذا خرجت الأفيال تقدها منفركلس و من ورائه حيدرة ، ثم كل الفيله و كان من عادة الحكام و المهرجات في انزال الأفيال إلى ساحات القتال ، و سيادين الحرب ، أن يعمد إلى أقواها فتحدد أنيابه ويشد خرطوميه ، و تغطي كل مقدمته بالدروع ، و يلف جسمه بها ، و يسير معه خمسمائه جندي ، و يكفي ذلك لمنازله ما بين خمسة أو ستة آلاف فارس ، فيكر و يفر ، و يقتحم صفوفهم ثم يخرج منها ، و هكذا على نحو ما كان يروح

(١) ذيل تجارب الامم ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ .

في الحروب بالاقبال وقتها (١).

وبناء على هذا فيمكن لنا بعملية "حسابية" تقدير مدى القوة الحربية لتلك الحكومة الهبارية التي كانت تملك ثمانين فيلا كل واحد منها يلزمه خمسمائة مقاتل فهذا يعني أن جملة المحاربين بالقبيلة يبلغ أربعين ألفا.

الآلات الحربية و الأسلحة

كانت السيوف و النبال هي الآلات الحربية العامة المستعملة في هذا الوقت، ولكن ماهي آلات الحرب التي كان يملكها الهباريون؟ و يحاربون بها؟ لعلمهم قد استعملوا نفس الأسلحة التي كان يستعملها الولاة العباسيون في السند من قبلهم.

و قد كتب القاضي رشيد بن الزبير عن العثور على آلات حربية في مخازن حاكم المنصورة عمران بن موسى البرمكي الذي قتل في ذي الحجة سنة ٥٢٢٧ هـ عبارة عن الأشياء الآتية:

(١) سبعمائة سيف هندي مدهونه و مطليه بالزيت.

(٢) دروع.

(٣) ألبسة حربية من أجود الأنواع و أعلى الأقسام.

(٤) دروع تبتيه للصدر.

(٥) دروع أخرى واقية للصدر.

(٦) دروع لوقاية الجانب.

(٧) دروع أخرى حافظه للأرجل.

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٦، ١٦٧.

(٨) خوزات للرأس.

(٩) دروع للخيل.

و فضلا عن كثير مما لم يتناوله العد، و يظهر من هذا أنهم كانوا يستعملون تلك الأنواع من الأسلحة^(١).

الصلح مع الحكومات المجاورة

و يبدو أن فترة حكم الهباريين كانت فترة صلح و مصالحة و هدوء و ان كانت قد حدثت في عهد حاكمهم الثاني محاوله "أبي صمه" التي تكلمنا عنها ، و كان يعاصر الهباريين حكام الملتان الأقوياء ، من بنى منبه و لكن لم تقع خلافات بينهما ، نظرا لتوافق سياستهما ، و كون الطرفين من أهل السنه و الجماعه و قد استطاع الهباريون تجنب احتكاك حكومه "ألور"، الهندوكيه بهم على خلاف ما كان بين راجا قنوج ، و بنى منبه في الملتان ، فان الهباريين أسنوا ذلك الجانب بكياستهم و سياستهم ، و لكنهم استمروا يقاومون الميد على سواحل السند.

مجاربه الميد

على المناطق الساحليه من بلاد السند حتى بلاد الهند كان ينتشر قوم يعرفون بالميد قراصنه بحار ، و لصوص سفن ، و كتب الاصطخرى :

إنه يوجد على حدود الهند قوم يسمون الميد ، و آخرون يدعون البدهه و إن الميد ينتشرون على كل السواحل من الملتان إلى نهر

(١) كتاب الذخائر والتحف ص ١٨٧.

السند ، أما المنطقه التي كانت تقع بين قاسهل و نهر السند فاندما هي مراعيهم وسكناهم و هم عدد كبير (١).

و لم تقتصر قرصنه المييد و سرقاتهم على سواحل السند والهند فقط ، بل امتدت إلى سقوطرة في بحر العرب ، و قد ذكر المسعودى أنه في سنه ٣٣٢ هـ كانت سفن اللصوص الهندود تأتي حتى سقوطرة لسرقه سفن التجار المسلمين و قطع الطريق على السفن المتجهه للهند و الصين ، على نحو ما كان يفعل القراصنه الاوربيون في البحر الابيض المتوسط ، في الحملات على السفن الاسلاميه و نهبيها (٢).

و قد ظل أولئك القوم الاشرار ينازعون المهاريين ، و يقلقون راحتهم و في ذلك كتب المسعودى : ” و فيها حروب كثيره من جنس يقال لهم المييد و هم نوع من السند و غيرهم من الاجناس و هم ثغر السند (٣).

و لكن بفضل مقاومه المهاريين لهم ، و محاربتهم إياهم ، و مكافحه خطرهم ، أسنت التجارة البحريه ، و سارت في طريقها في أمن منهم ،

المذهب الرسمي للحكومة المهاريه

حصل عهد المهاريين من ناحيه الدين على مركز رفيع ، فكانوا بأنفسهم سنيون مقلدون ، مطيعون للخلافه العباسيه ، و بينهم و بين

(١) مسالك الممالك ص ١٧٦ .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٢٠ .

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ .

أسرة قاضي القضاة ابن أبي الشوارب علاقات قديمة ، و لكننا لم نجد ما يكشف عن مسلكهم الفقهي ، ولكن يظهر من بعض القرائن القوية أنهم كانوا يتبعون الامام داؤد الظاهري المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ، الذي انتشر مذهبه في القرن الرابع الهجري في شرق العالم الاسلامي ، وأخذ مكانه المذهب الحنبلي مما دعا المقدسي إلى عد مذاهب أهل السنة الأربعة على الوجه الآتي :

الحنفية و المالكية ، والشافعية ، و الداؤديه ، بدون ذكر للحنبلية (١) .
و كتب عن مذاهب أهل السنة أن كثيرا منهم من أصحاب الحديث ، و أنه قابل القاضي أبا محمد المنصوري و كان داؤدي المذهب ، و اما فيه صنف عنه كتبا عديدة جيدة .

أما أهل الملتان فكانوا من الشيعة ، و لكن المدن الكبيرة لم تخل من الفقهاء الأحناف و ليس بها مالكية أو معتزلة أو حنبلية و أن المسلمين هناك يسرون على مسلك طيب ، و تمسكهم بدينهم يستحق الثناء ، خاصة و أنهم تجنبوا الغلو فيه ، و التعصب له (٢) .

و لم ينحصر المذهب الظاهري في بلاد السند ، أو المنصورة فقط ، و انما تجاوز تلك المنطقة فأخذ حظه في اقليم فارس ، و تولى العلماء الظاهريون مناصب القضاة و غيرها ، و كان عضد الدولة من المعتنقين لهذا المذهب و قد كتب المقدسي : ان مدارس الفرقة الداؤديه في

(١) احسن التقاسيم ص ٣٧ .

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٨١ .

اقليم فارس و لهم فيها مجالس ، و هم كثرة ، و علماء الظاهر قابضون على مناصب القضاء و الاعمال الاخرى ، و ان المعتضد بنفسه من المقلدين لهذا المذهب (١).

و غرضنا من ذلك ايضاح أن المذهب الظاهري كان له مقام في كل من السند و فارس في وقت واحد ، و أن الظاهرية قد شاعت علومهم ، و فنونهم ، و امتد سذهبهم إلى بلاد أخرى مجاورة ، فراج في عمان و صارت لهم فيها مدارس و مجالس (٢) ، و كان العلماء الظاهريون سيطرين على مناصب القضاء كذلك في السند و قد ذكر المقدسي أن قاضي المنصورة في وقته وهو أبو محمد الداودي كان يعتبر امام المذهب الداودي في هذه الفترة ، و له مصنفات جيدة متعددة ، كما أن أبا العباس احمد بن محمد التميمي المنصوري كان قاضيا و ألف عدة كتب .

و كان اقليم السند يتبع المذهب الحنفي ، و كان هو المذهب الغالب ، و قد كتب ياقوت : أن المذهب الغالب في أهل السند هو مذهب الامام أبي حنيفة (٣).

القضاء و اجراء القصاص

سبق لنا القول أن المهاريين كانوا أهل دين ، و أنهم ساسوا مملكتهم على هدى منه ولذلك نفذوا حدوده ، و ساروا على دستوره ، فأقاموا الحدود ، و طبقوا التعزيرات في كل أنحاء البلاد ، و في ذلك كتب أبو دلف عن حاكم

(١) احسن التقاسيم ص ٤٣٩ .

(٢) احسن التقاسيم ص ٩٦ .

(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥١ .

المنصورة" في زمنه ما يأتي : و يقيم الحدود (١).

أثر ديانة" المهاريين و معاملتهم للرعايا من غير المسلمين

و كان الجمهور العام في السند من غير المسلمين ، ممن يعبد الأوثان و مع هذا فبحسن سياسته" المهاريين عاش الجميع في سلام ، و زالت من أدمغة" كثير من الناس المعاني الخاطئة" عن الاسلام ، و تبدلت نظرتهم إلى الاسلام و المسلمين و من أول هؤلاء راجا سهروق حاكم الور ، و حاكم آخر و هو الذي أهدى للكعبة" نذرا (٢).

اللباس الملكي

و على الرغم من تقيد الحكام المهاريين بالدين ، و تمسكهم بمذهب أهل السنة" فان لباسهم و زيهم كان يشبه إلى حد كبير لباس الرجوات الهندوك و حديثهم و كلامهم لا يظهر فيه فرق كبير و كتب الاضطخري : " و زيهم زي أهل العراق إلا أن زي ملوكهم يقارب زي ملوك الهند من الشعور و القراطق (٣) ،،".

و كان من عادة" رجوات الهند اطالة" الشعر، وارتداء الجلباب و كذلك كان يفعل السلاطين المهاريون .

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩ .

(٢) ذكرالفاكهى أن ما أهدى إلى الكعبة" طوق من ذهب مكل بالزمرد والياقوت مع ياقوته" خضراء أرسله ملك السند لما أسلم في سنة" تسع وخمسين ومائتين فعرض امره على المعتمد على الله فامر بتعليق مافي البيت الشريف فعلقت "الاعلام باعلام بيت الله الحرام" نسخة خطية بمكتبة الازهر،

(٣) مسالك الممالك ص ١٧٢ .

الوزارة

من الضروري لكل حكومة من وزارة ، وقد كان للمباريين شعبه مستقلة للوزارة كانت تسند إلى الاكفاء ، و أصحاب الرأى والفظنه ، وقد مر بنا كلام المسعودى من ذكر متبالبه للوزير رباح فى المنصورة (١).

العملة و الأوزان و الغلات

كانت العملة الرائجة المشهورة فى عهد المباريين تسمى " قاهريات " ، وتفق قيمتها الدراهم العادية المعروفة ، فالقاهرى الواحد كان يساوى خمسة دراهم ، كما كانت هناك عملة أخرى رائجة أيضا تسمى " طاطرى " ، و كل طاطرى يساوى درهمن من الدراهم العادية العامة و كان عليها تصوير ، و فضلا عن رواج تلك العملتين ، القاهرى و الطاطرى ، فقد كان للدينار بجانبهما رواج و عموم (٢).

و لم تقع أعيننا على أى ذكر للأوزان و المكايل و المقاييس السائرة فى الحكومة المبارية و لكن المقدسى قد كتب بعد ذكره للسير المكى : " ان هذا السير رائج فى المنصورة و الملتان و الهند فيقول : " و منهم بطوران مكي و كذلك بالملتان و السند و الهند ، (٣).

كما كتب أنه كان يروج فى طوران وزن أو كيل يطلق عليه " كيجى " ، يساوى أربعين سيرا بالسير المكى ، و ثمن كيجى واحد من القمح ما بين أربعة دراهم إلى ثمانية ، كما كان بالملتان وزن يطلق عليه " مطل " ، و كان يساوى

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٧ .

(٢) احسن التقاسم ص ٤٨٢ .

(٣) احسن التقاسم ص ٤٨٢ .

اثني عشر سيرا قمحا ، و الغالب أن هذه الأوزان كانت هي الرائجة في المنصورة ولا يتضح لنا مقدار ما كان تحصل عليه الدولة الهباريه من ضريبه الجمارك إلا أننا نستطيع تقدر ذلك من جمارك الدول المجاورة لها و قد كتب المقدسى عن ذلك فمن شاء ذلك فعليه بمصادره .

حدود الدولة و الأماكن المشهورة

ذهب الجغرافيون القداسى إلى أن إقليم السند يقع في شرقه بحر العرب و في الغرب صحراء كرمان و سجستان ، و في الشمال بلاد الهند ، و في الجنوب صحراء بلوجستان و مكران .

و قد قسم بشارة المقدسى إقليم السند إلى خمس مناطق ، وعد أكبر المدن في السند على الوجه الاتى : المنصورة وهي دار السلطه ، الديبل ، زندريج ، كدار ، مايل ، تنبلى ، نيرون قالرى ، انرى ، بلرى ، مسواهى ، بهرج ، بانیه ، منجابرى ، سدوسان الرور (ألور) سوبارة المتصله بيومباى ، كيناص، صيمور (بومباى) (١) كما عد الاصطخري إقليم السند على هذا الوجه ولكنه كتب بدلا من نيرون بيرون، ولم يعد سوبارة وصيمور من بلاد السند (٢) . و ذكر أن هناك حكومات مستقلة معاصرة للدولة الهباريه في نواحي السند ، حكومه بنى منبه في الملتان ، و آل المغيرة في قصدار ، و آل معدان في مكران ، ولكنها جميعا ليس لها من الأهمية ما لحكومه الهباريين في المنصورة .

و قد بلغ من سعه هذه الدولة ما نلمحه من تصريح المسعودى الاتى :
 ” و جميع ما للمنصورة من الضياع والقرى يضاف إليها ثلاثمائة ألف قرية ”

(١) احسن التقاسيم ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

(٢) مسالك الممالك ص ١٧١ .

ذات زروع و أشجار و عمائر متصله" (١)،،.

و هذه هي سعتها في البر، وأما سعتها في المناطق البحرية فلا تقل عن ذلك، فقد كانت كل المنطقه الساحليه من الديبل إلى سوبارة وصيمور تحت حكم المهاريين، وبناء على ذلك فإنهم يكونون قد حكموا كل السند برا وبحرا، وقد كتب أبو دلف عن يحيى بن محمد صاحب المنصوره: "و يملك السند كله بره و بحره"، (٢).

وبناء على هذا فقد قامت الدوله المهاريه في المنصوره و سيطرت على جميع منطقه السند، برطبها ويابسها، وضمت بين جنباتها ثلثمائه ألف قرية و ضيعه على الأقل، كان أغلبها يتصل بعضه ببعض أو يفصل بينها مسافات قليله على نحو ما هو موجود في زماننا الان من ضياع الراسماليين والاقطاعيين ومع أن مدينه "فهرج"، كانت خارج حدود السند، فإنها كانت تتبع الدوله المهاريه و كانت مدينتا صيمور و سوبارة تعدان من بلاد الهند ولكنهما كانتا تتبعان الحكومه المهاريه في المنصوره و كان هناك حكام محليون في بعض مقبوضات الدوله المهاريه يستقلون بالحكم فيها على شرط التزامهم بتأديه الخراج، و بعض الالتزامات الاخرى، على نحو ما كان موجودا في الهند أيام الاحتلال الانجليزى، و تحت هذا الشعار كانت تسير حكومه "الور"، مع حكومه المنصوره.

المنصوره مركز الحكومه المهاريه

و كانت بالسند مدينه قديمه تدعى "بهنوا"، و هي التي اصطلح

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨.

(٢) معجم البلدان ج ٤١٩.

الجغرافيون و السياح على تسميتها "برهمناء"، وقد أتت عليها يد الدهر و درست آثارها و على أنقاضها أنشئت المنصورة التي اتخذها الهباريون عاصمته لدولتهم ، و كانت تقع في الاقليم الثالث من حيث التقسيم في نظر الجغرافيين القدامى ، و طول البلد بجهتها الغربية ٩٣ درجة ، و عرض البلد من الجنوب ٢٢ درجة ، و الخليج الخارج من نهر السند يحيط بها من ثلاث جهات ، حتى جعل منها شبه جزيرة و مع أن الجو كان معتدلا في جوانبها و أطرافها ، فان المدينة ذاتها كانت درجة الحرارة فيها مرتفعة جدا ، و كانت تحصل على مياه الشرب من خليج نهر السند و يكثر فيها البق و فيها النخل و القصب بكثرة ، و بها من الفاكهة المانجو والليمون ، و هي على مسافة ١٢ مرحلة من الملتان و خمس عشر مرحلة من طوران .

والسؤال هو متى عمرت المنصورة ؟ و ما وجه تسميتها بالمنصورة؟
والجواب أن هناك آراء مختلفة حول تلك الأسماء ، و لعل أصح تلك الآراء ما رواه البلاذري من أن خالد بن عبد الله القسري حاكم العراق كان قد أرسل الحكم بن عوانة الكلبي في سنة ١٠٥ هـ كحاكم على السند ، و جاء معه عمرو بن محمد القاسم الثقفي ، الذي أسند إليه الحكم مهام أمور الحكم وأمره على الغزوات في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، و قد عمر مدينته بالسند أسماها "المحفوظة" ، واتخذها مقر له ، و منها انبثقت مجهودات حربية تحت قيادة عمرو بن محمد بن القاسم و بعد أن استقرت الأحوال و تم النصر عمر وراء بحيرة تقع خلف نهر السند مدينته أسماها المنصورة وهي التي صارت فيما بعد مركزا للحكام الأمويين والعباسيين ، بدلا من المحفوظة (١). و لما أعلن

(١) فتوح البلدان ص ٤٣١ .

الهباريون استقلالهم اتخذوا المنصورة عاصمته لهم .

و هناك روايه " تذهب إلى أن عمرو بن حفص عامل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور قد وطن ألف رجل بتلك المدينة" وسماها المنصورة على اسم الخليفة العباسي ولكن هذه الروايه غير صحيحه .

أما المسعودي فقد ذكر أنها سميت بالمنصورة على اسم العامل الأموي في السند "منصور بن جمهور"، و سما يضعف ذلك الرأي أن المنصورة قد عمرت قبل وفود المنصور بن جمهور إلى السند لأنه لما قامت الخلافات ضد الخلافة العباسية فقد أرسل أبو العباس السفاح موسى بن كعب التميمي لتأديبه ، وكان ذلك في سنة ١٣٤ هـ ثم عينه حاكما و كان أول عمل قام به هناك هو ترسيم مدينته المنصورة و توسيع مسجدها (١) .

و كان بشارة المقدسي قد وصل إلى المنصورة قبل زوال دولة الهباريين بأربعين سنة تقريبا و كتب عنها و عن عظمتها و ذكر أنها أكبر مدينه في هذا الاقليم ، و أنها تساوي في سعتها مدينه دمشق وأن منازلها من الطين و الخشب ، وفيها مسجد جامع وسط السوق ، مبني بالطوب و الحجر و أعمدته من خشب الساج و طوله و عرضه كمسجد عمان ، ولها كذلك أربعة ابواب: (١) باب البحر (٢) باب طوران (٣) باب سندان (٤) باب الملتان . والناس هناك ارباب مروعة و شرف ، محاسلاتهم طيبة و منهم كثير من اهل العلم و هم أذكيا فطناء يكثرون الصدقات الخ (٢) . وكانت اللغة العربية شائعة في المنصورة ونواحيها وتسير مع اللغة السندية جنبا الى جنب . و خلاصة القول

(١) فتوح البلدان ص ٤٣١ .

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٧٩ .

ان المنصورة صارت منذ سنة ١٠٥٠ هـ إلى سنة ٥٢١٦ هـ مركزا للحكام و مرآة تتجلى فيها آثار الثقافة الاسلاميه وأنما قد بلغت شأوا كبيرا فى عهد الهباريين وقد جاء فى "آئين أكبرى"، ما يدل على أن المنصورة كانت من أكبر المدن فى السند.

الديبل

ثانى المدن الكبيرة بعد المنصورة فى الدولة الهباريه ، وكانت تقع على الساحل وقد كتب ياقوت الحموى ان هذه المدينة تقع فى الاقليم الثانى و طول البلد من الغرب ٩٢ درجة وعشرون دقيقه وعرض البلد من الجنوب ٢٤ درجة وثلاثون دقيقه وكانت الديبل سيناء تجاريا ويجرى فى أنحائها نهر الملتان و لاهور الذى يصب فى بحر العرب وكان بها كثير من العباد والزهاد والمحدثين والقراء وبعض رواة الحديث ينسبون اليها فيقال فلان الديبلى (١) و فى تصريح للقلقشندى ان بضائع الديبل كانت تصدر الى البلاد الاخرى و فى "تقويم البلدان" ، أن الكتان يزرع هناك بكثرة ويأتى اليها تمر العراق و فى كلام للبلاذرى انه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٥ هـ قد وجه حاكم البحرين و عمان ، سغيرة بن أبى العاص الثقفى أخاه عثمان بن أبى العاص الثقفى الى الديبل فحارب هناك وانتصر وقد ذكر مثل تلك الروايه "ياقوت الحموى (٢).

و كان محمد بن القاسم قد أقام فى مكران لعدة أيام ثم توجه لفتح قنزبور وارمايل وفى يوم الجمعة التالى وصل الى الديبل فحفر الخنادق ونصب المنجنيق ورفع الرايات فوق القنوات وكان فى الديبل معبد كبير فيه أصنام ، ويخفق عليه علم كبير ، و كان أول عمل له أنه قام بضرب هذا العلم فأسقطه فروع بذلك قلوب القوم هناك ثم خرج بعد ذلك لمقابلتهم

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ١١٨ .

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨١ .

فهمزسهم ودخل المسلمون المدينة فاتحين ففر "داهر"، ووطن فيها محمد بن القاسم أربعة آلاف من المسلمين وبنى بها مسجدا (١).

و في عهد الخليفة المعتصم أقام عنبسه بن اسحاق الضبي سجنا من أحجار سينارة معبد أصنام الديبل بعد ان هدمت كما استعملت أحجارها في ترميم مدينة الديبل كذلك وقد عزل هذا الوالى قبل اتمام هذا العمل و خلفه هارون بن أبى خالد المروزى (٢).

وكانت الديبل قد تعرضت في عهد المهباريين لزلزال عنيف و تفصيل ذلك تجده في كتاب المنتظم للعلامه ابن الجوزى الذى يقول انه قد وصل الى مركز الخلافة في بغداد سنة ٢٨٠ خبر من الديبل يقيد أنه في ليلة ١٤ شوال حديث خسوف للقمر استمر حتى الجزء الأخير من الليل وأعقب ذلك أظلام شديد مع اشراقه الصباح وفي عصر اليوم هبت عاصفه هوجاء سوداء استمرت حتى ثلث الليل الاخير من الليلة الثانية ثم وقع زلزال خرب الديبل فلم ينج من منازلها وعمائرها إلا مائة بيت تقريبا ودفن باقى سكانها أحياء بين أنقاض المنازل والفتجوات التى أحدثتها الزلزال وكان هذا الخبر قد وصل إلى مركز الخلافة في بغداد في ذى الحجة.

ويقال أنه قد اخرجت جثث ثلاثين ألفا ممن قبروا في هذا الزلزال ودفنوا في مكان آخر بعيد ويعد هذا الزلزال العنيف الشديد تعرضت هذه المدينة خمس مرات أخرى للزلزال وتذهب بعض الروايات إلى أن عدد الذين اخرجوا من بين الانقاض قد بلغ مائة وخمسين ألفا من الضحايا.

(١) فتوح البلدان ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) فتوح البلدان ص ٤٢٥.

وقد تناول العلامة السيوطى فى تاريخ الخلفاء الحديث عن هذه الزلازل المهلكة باختصار وذكر أنها كانت فى عهد المعتضد بالله العباسى (١). وأما بالنسبة لمركزها العلمى والثقافى الإسلامى فكان فى المرتبة الثانية بعد المنصورة.

وقد اطلق على الديبل فيما بعد "تهتها"، التى تقع الآن قريبا من مدينة كراتشى الحالية (٢).

بوقان

كتب ياقوت الحموى أن مدينة بوقان من بلاد السند و فى روايه للبلاذرى أن زياد بن أييه قد قرر أباالأشعث منذر بن الجارود العبدى على ثغر الهند فحارب فى بوقان و قيقان و انتصر المسلمون هناك كما أرسل من بعده عبيد الله بن زياد حرى بن حرى الباهلى واليا و غازيا و قد شاءالله تعالى أن يفتح على يديه الأضمار هناك.

و فى روايه أخرى أن حرى بن حرى كان أميرا للجيش مع سنان بن محبب المهذلى و قد تناول شاعر عربى ذلك فى بيته الآتى :

لولا طعانى ببوقان ما رجعت منه سرايا ابن حرى بأسلاب

و عمرت بوقان بالمسلمين فى القرن الثالث. و فى عهد المعتصم بالله عمر عمران بن موسى البرمكى مدينة "أسماها" البيضاء، فى بوقان، و كانت بوقان مركزا و منها علماء و محدثون.

(١) كتاب المنتظم ج ٥ ص ١٤٣ و تاريخ الخلفاء ذكر معتضد.

(٢) سبق أن المصنف أورد كلاما للاستاذ محمد سليم شاه يرد هذا عند الكلام على الاسماء الحديثة لبعض الامكنة والبلاد القديمة فى نهاية الكلام عن الدولة الماهانية انظر ص ٥١.

قيقان

قيقان وهي معربة من " جييجان "، و كان اسما للمنطقة كلها في قلات وغيرها و كانت تعد من بلاد السند و في عهد علي بن أبي طالب (رض) فيما بين سنة ٣٨ - ٥٣٩ استأذنه الحارث بن مرة الكلبي في الحملة على بعض مناطق في الهند فأذن له فحارب و انتصر و غنم و لكن الحارث و رفاقه استشهدوا في قيقان سنة ٤٢ و بعد ذلك حارب هناك المهلب بن أبي صفرة في سنة ٥٤٤ و في عهد معاوية رضي الله عنه حمل عبد الله بن سوار الذهبي على قيقان وفتحها و سافر إلى معاوية يحمل معه الهدايا التي اشتملت على الخيل وأشياء أخرى ثم رجع و استدعى الأمر الاشتباك مع أهلها مرة أخرى ولكنه استشهد في هذه المرة وصارت الغلبة لعدوه (١).

سيوستان

ذكر ياقوت أن سيوستان منطقة كبيرة في السند و أنها تقع في أطراف نهر السند على حدود الهند خيراتها كثيرة و حولها مدن و قرى كثيرة وكانت بها حكومة رجوات " ألور"، و كان يطلق عليها سيوان و سهوان و سيستان على اسم حاكم سندي معروف.

الرور أو ألور

ألور من المدن القديمة في بلاد السند وكانت مقرا لحكومة أسرة "رائي"، و العرب تكتب عنها " الرور"، و كانت هذه المدينة على ساحل نهر السند بين الحدائق و العيون و كانت حكومتها قديما كبيرة جدا تمتد في الشرق إلى كشمير و قنوج و في الغرب إلى مكران و الديبل الى ساحل البحر و في الجنوب

(١) فتوح البلدان ص ٤٢١

كجرات إلى سورات و في الشمال قندهار كرمان و جبل سليمان و كانت قلات تدخل فيها.

و في تصريح للبلاذري أنه عندما توجه محمد بن القاسم إلى ألور و بخرور فان أهل ساوندرى قد خرجوا لمقابلته لطلب الأمان منه فأسنهم و حتى القرن الثالث كان بها عدد من المسلمين.

ولما تقدم محمد بن القاسم نحو "بسمد"، خرج أهلها كذلك لطلب الأمان كما فعل أهل "ساوندرى"، ثم وصل إلى "ألور"، وكانت مدينة جبلية فحاصرها مدة طويلة استمرت شهورا و تم له فتحها أخيرا بشرط ألا يقتل أحدا من أهلها و ألا يتعرض لمعابدهم، و وضع عليهم الخراج و بنى هناك مسجدا (١). و قرر له خطيبا و ظلت تلك الوظيفة قرونا تنتقل بين أفراد و عائلته هذا الخطيب.

و في عهد المهاريين صارت (ألور) مدينة لها رونقها و مركزها و قد كتب ابن حوقل ان هذه المدينة تبلغ في مساحتها "الملتان"، كما صرح أبو الفداء في تقويم البلدان بحواله الوزير المهلبى بأن حكومة ألور كانت تحت المنصورة و أن من بين سكانها مسلمون فيقول: "و أهلها مسلمون في طاعة صاحب المنصورة (٢)".

و قد عرفنا سابقا قصة حاكمها راجا مهروق الذى طلب من يعلمه و يرشده للإسلام و تذكرها الكتب العربية باسم (الرور والرا وازور) و مكانها الحالية مدينة سكره الموجودة الآن ببلاد السند.

(١) فتوح البلدان ص ٤٢٦.

(٢) تقويم البلدان ذكر بلاد السند.

بيرون أو نيرون

بيرون من مدن الكبيرة و كانت تقع بين الديبل و المنصورة
و كتب القلقشندى ان بيرون تقع قريبا من المنصورة في حكومة الديبل
و أنها في الاقليم الثانى وطولها ٩٤ درجة و ثلاثون دقيقة و عرض البلد
٢٤ درجة و ٥٥ دقيقة و كان وقوعها على خليج بحر العرب مما
جعلها ميناء تجاريا و بينها و بين المنصورة أربعة مراحل و خمسة عشر
فرسخا ، و قد فتحت صلحا على يد محمد بن القاسم فعندما وصل قريبا منها
أرسل اليه أهلها مندوبين عليهم لاجراء محادثات للصلح و قد صاحب
الوفد إلى داخل المدينة مع التكريم و التعظيم و تم الصلح على
شروط (١).

(١) فتوح البلدان ص ٤٢٥ .